حكم الإرجاف في الشريعة الإسلامية

د. حاتم عبد الله شويش

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا. أما بعد:

يعد الإرجاف من مباحث الفقه الإسلامي وله علاقة وثيقة بالحرب النفسية(١)التي كثيراً ما يلجأ أليها أعدائنا اليوم لغرض هز القلوب المفضية إلى الإرجاف المفضي إلى زعزعة العقيدة عن القلب .فالقوى المجاهدة اليوم تعيش أقوى مواجهات البغي والطغيان والكفر والإلحاد والنفاق في كل أراضي المسلمين، ومحاولة هذه القوى الشريرة استئصال هذه العصبة المباركة وسط ذهول المسلمين وقعودهم وتفريقهم ،ووسط تثبيط المثبطين وتخذ يل المتخاذلين فالدور الذي يلعبه أعداء الدين اليوم في التخذيل وتثبيط العزائم له خطورته إذا انساق في تياره أبناء الأمة الإسلامية. فأعدائنا اليوم كلما لقيت دعواتهم آذاناً صاغية فأنهم يفرحون بذلك ويستبشرون وهذا د يدنهم في كل عصر،فالحرب النفسية عندهم هي أقوى أسلحة الصراع أثرا في تحقيق النصر وبأقل الخسائر لأنها تستهدف المقاتل في عقله وتفكيره وقلبه وعواطفه،فهي تحطم روحه المعنوية وتقوده إلى الهزيمة. وهذا ما يفعله أعداؤنا اليوم في جميع أراضي المسلمين من استخدام المنافقين الذين يلبسون ثوباً ظاهره الرحمة وباطنه العذاب ينفثون سمومهم في الخفاء ويثيرون الفتن ويروجون الشائعات التي تقتل الإرادة والإيجابية وتفضي إلى الإرجاف ومن هؤلاء المنافقين منهم من يكون بين صفوف المسلمين ومنهم من يكون خارج صفوفهم يخطط ويدبر ويسعى بكل الأساليب العلمية للحرب النفسية، وقد ذكر الله المنافقين ودورهم الخبيث في تشكيك أهل المدينة في وعد الله ورسوله بالنصر والفتح المبين في غزوة الخندق فركزوا على جانب التوهين والتخذيل والإرجاف وإضعاف العزائم لدى المسلمين ليتركوا الرسول وحده مع نفر قليل وليرجعوا إلى بيوتهم متعللين بأنها غير محصنة لكن حذرهم الله تحذيراً شديدا إن لم ينتهوا عن ذلك لما في ذلك من مخاطر على المسلمين حيث قال(وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً)(٢) .

---

(١) ـ يمكن تعريف الحرب النفسية في المنظور الإسلامي بأنه جميع الوسائل والأساليب التي تؤدي .إلى أضعاف الروح المعنوية لدى العدو .أو تعمل على كسب تأييد الدول الصديقة والمحايدة ومحاولة تحريضه.ضد العدو من دون اللجوء إلى القتال . ينظر مفهوم الحرب النفسية في الشريعة الإسلامية .بحث منشور في مجلة الحكمة للدكتور هيثم عبد السلام العدد ٢٩/أيلول سبتمبر٢٠٠٢.

(٢) سورة الأحزاب آية ١٢ـ١٣

وقد كشف عن هذه الفئة المنافقة قول (الرسولﷺ) (تجدون شر الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه)(١) متفق عليه.

وقد حذرنا الله منهم في سورة المنافقين فقال(يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)(٢).

فعلى أبناء الأمة الإسلامية أن ينتبهوا إلى هؤلاء بكل الوعي والفطنة وخاصة في هذا العصر الذي تقدمت فيه وسائل الأعلام والاتصال وعليهم أن يسدوا منافذ الحرب النفسية ويرشدون إلى أساليب تحصين المسلمين ضدها ،وتطهير جيوشهم من هؤلاء المنافقين الذين يقومون ببث الأراجيف بين صفوفهم. فعلى المسلم صنعه تجاه الأراجيف التي يبثها المرجفون هو الموقف الثابت والإرادة القوية والتصدي لكل ما يبث ومن خلال ذلك أبين حكم الإرجاف في الشريعة الإسلامية لكي يتسنى للقراء معر فتة وحكمه، فقمت بتقسيم البحث إلى ما يلي :

أولا:معنى الإرجاف لغة واصطلاحاً.

ثانياً:من هم المرجفون.

ثالثاً:الألفاظ المتصلة بالإرجاف.

رابعاَ:الحكم الإجمالي للإرجاف.

خامساَ: خروج المرجف إلى القتال.

سادساَ: هل يسهم للمرجف من الغنائم إذا خرج إلى القتال.

أولا: معنى الإرجاف لغة واصطلاحاَ:

الإرجاف في اللغة: يقال رجف الرَّجفان: الاضطراب الشديد، رجف الشيء يرجف رجفاَ ورجوفاَ ورجفاناَ ورجيفاَ، وأرجف خفق واضطرب اضطراباَ ،وارجف القوم إذا خاضوا في الأخبار السيئة ،وذكر الفتن :قل تعالى(وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ)(٣) .وهم الذين يولدون الأخبار الكاذبة التي يكون معها اضطراب في الناس(٤). والإرجاف الخبر الكاذب المثير للفتن والاضطراب(٥)والإرجاف واحد الأراجيف ، الأخبار ، وقد ارجفوا في الشيء أي خاضوا فيه،وا ستر جف رأسه حركه، ورجف القوم تحركوا للقتال(٦).

---

(١) ينظر صحيح البخاري ٢٠١١/٤ ،وصحيح مسسلم١٩٥٨/٤ باب ذم ذي الوجهين وتحريم قتله .

(٢) سورة المنافقين آية (٤).

(٣) سورة الأحزاب آية(٦٠).

(٤) ينظر لسان العرب ١١٣/٩.مادة(رجف).

(٥) المعجم الوسيط١٣٣٢/١.مادة(رجف).

(٦) لسان العرب ١١٣/٩.مادة(رجف).

والإرجاف في اصطلاح الفقهاء: التماس الفتنة،وإشاعة الكذب والباطل للاغتمام به، وهو ما ينشأ عنه اضطراب بين الناس.(١)

ثانياً:من هم المرجفون:

قال تعالى (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً)(٢).

قال القرطبي وغيره من المفسرين: أن المرجفين هم قوم كانوا يخبرون المؤمنين في المدينة بما يسؤ هم من عدوهم فيقولون إذا خرجت سرايا رسول الله إنهم قد قتلوا أو هزموا وان العدو قد أتاكم قاله قتادة وغيره..(٣)

قال ابن قدامه (أن المرجف هو الذي يقول هلكت سرية المسلمين ومالهم مدد ولا طاقة لهم بالكفار، والكفار لهم قوة ومدد وصبر ولا يثبت لهم أحد ونحو ذلك ممن يعين الكفار..)(٤)

وقال الشيرواني(المرجف وهو من يكثر الأراجيف كأن يقول قتلت سرية كذا أو لحق مدد للعدو من جهة كذا ،او لهم كمين في موضع كذا(٥)) وهذا ما قاله كثير من الفقهاء.(٦) وما أكثر قول المرجفون اليوم فهم الذين يقولون هلكت مدينتنا وهلكت سريتنا وهلكت قريتنا ،وهلكت أموالنا ولا طاقة لنا بقوة العدو الهائلة وغيرها من الأراجيف التي تؤدي إلى إضعاف الروح المعنوية لدى المسلمين، وهذا ما يسعى إليه أعداء الدين اليوم، والذين يقومون بهذه الأراجيف هم فئة خطيرة حذر الله رسوله منهم فهم يقومون بنشر الأخبار الكاذبة والشائعات المغرضة والوقائع الباطلة التي من شأنها إثارة الأراجيف بين المسلمين فهؤلاء يؤدون أعمالهم في الخفاء يظهرون غير ما يبطنون يكيدون للمسلمين في السر ويعملون على إضعاف معنوياتهم.(٧) فالذي أراه أن المرجفين اليوم انقسموا إلى قسمين: قسم هاب قوة العدو الفائقة في العدد والعدة وأرجف خائفا من هول الترسانة الكبرى باعتبارها أكبر ترسانة في العالم فأخذ يرجف بقوله هذه قوة لا طاقة لنا بها فهذا القسم ليس قصدهم النكاية بالمسلمين ،وإنما هم قسم مرجفون بطبيعة حالهم هابوا قوة العدو ،فالذي أراه أن أصحاب هذا القسم هم مرجفون قليلو التفقه في

---

(١) ينظر الجامع لأحكام القران للقرطبي٢٤٥/٤،وحاشية الجمل على شرح المنهج٩٥/٤ والمغني لابن قدامة٣٧٢/١٠ والفتاوى الهندية ٤٧٧/٦ـ٤٧٨ والموسوعة الفقهية١٨٠/٢

(٢) سورة الأحزاب.ب آية(٦٠).

(٣) ينظر القرطبي ٢٤٦/١٤ والكشاف للزمخشري١٧٤/٣ ط/١ ،١٣٩٧ ـ١٩٧٧ .دار الفكر- بيروت..

(٤) المغني١٣٧٢/١٠.

(٥) حواشي الشرواني٢٣٧/٩.

(٦) ينظر مغني المحتاج١٠٣/٣ والمهذب للشيرازي٢٤٥/٢ وحاشية البجيرمي٣٠٧/٣ والمحرر في الفقه١٧٢/٢.

(٧) المدرسة العسكرية الإسلامية .محمد فرج دار الفكر العربي -بيروت طبع دار الثقافة للطباعة.١٩٦٩ ص١٤٨ .

الدين لأنهم نسوا قول الله تعالى (وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)١وقوله أيضا(وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ،إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ)٢ وقوله أيضا(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)٣.

إنَ هذه النصوص المبشرة بالنصر هي جزء من عقيدتنا التي يجب أن نؤمن بها إيماناً تاماً لا تخالطه الشكوك ولا تساوره الظنون مهما طال ليل المحنة ،فإن وعد الله قريب (مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)٤بل إن اليقين الكامل بنصر الله هو أحد عوامل النصر ،فالمؤمنون حينما كانت تحيط بهم الملمات لا تزيدهم إلا ثباتاَ ويقيناَ وتسليماَ (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً)(٥).

فعلى أصحاب هذا القسم أن ينتبهوا إلى هذه الآيات المبشرات ويتركوا الوهن والإرجاف جانبا ،لأن مؤامرات الأعداء ومكائدهم ومكرهم مهما كثرت وتنوعت ومهما بلغت من الإتقان لن تضر المسلمين شيئاَ إذا هم صبروا واتقوا(٦)، كما قال تعالى (وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)(٧).

وأما القسم الأخر: فهم المنافقون الذين يعملون لصالح أعداء الدين فهم الذين يقومون بالتثبيط والتهويل وإضعاف العزائم لدى المسلمين فهؤلاء الذين حذر الله رسوله منهم وهؤلاء سأبين حكمهم لاحقا إن شاء الله تعالى.

وبهذا يتضح أن الإرجاف إنما هو الأخبار الكاذبة التي تكون مقصودة ومن شأنها ان تثير الفوضى والاضطراب ، وتولد الفتن وتخلق جواَ غير مستقر ،فلقد كان المرجفون في زمن النبي ﷺ يكثرون من إذاعة الأخبار السيئة والأقوال الكاذبة ليزلزلوا عقائد المسلمين ، وليدخلوا الرعب في قلوبهم فكانوا مصانع لضرب الأراجيف وترويجها.

ثالثاَ:الألفاظ المتصلة بالإرجاف :-

أولا: التخذيل: خذل الخاذل:ضد الناصر ،خذله وخذل عنه يخذله خذلاناَ،ترك نصرته وعونه . والتخذيل :حمل الرجل على خذلان صاحبه وتثبيطه عن نصرته(١).وفي الحديث (المؤمن أخو المؤمن لا

---

[1] سورة الروم:٤٧.

[2] الصافات آية١٧١-١٧٣ .

[3] آل عمران:١٧٣).

[4] البقرة:٢١٤).

(٥) الأحزاب (١٢).

(٦) فتح القدير٢/٣٧٦.

(٧) سورة آل عمران(١٢٠).

يخذله)(٢).ويقال خذله الله لم يعصمه من الشبهة ، وخذله حمله على الفشل وترك القتال ،وخذّ ل عنه أصحابه حملهم على خذله.(٣)

وأصل الخذلان: الترك والتخلية قال تعالى (إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)(٤).قال محمد بن إسحاق في هذه الآية :إن ينصركم الله فلا غالب لكم من الناس ولن يضرك خذلان من خذلك ، وإن يخذلك فلن ينصرك الناس أي لا تترك أمري للناس وارفض الناس ، والخذلان أن يخلي الله تعالى بين العبد وبين نفسه.(٥) وقد ذكر الفقهاء التخذيل فقالوا عن المخذل ما نصه:قال الشربيني (المخذل من يثبط القوم كأن يقول العدو كثير ولا نقدر عليهم)(٦)

وقال الشرواني: (المخذول وهو من يخوف الناس كأن يقول عددنا كثير وجنودنا كمال ولا طاقة لنا بهم)(٧).

وقال ابن قدامه:(وهو الذي يثبط الناس عن الغزو ويزهدهم في الخروج إليه والقتال والجهاد)(٨).والذي أراه أن التخذيل هو ترك العون والنصرة لإخوانه، والذي يقوم بالتخذيل لا بد وان يقوم بخلق الحجج والأراجيف لتبرير موقفه المتخاذل ومن ذلك ما قام به المنافق عبد الله بن أبي بن سلول قبيل معركة أحد فقد خرج رسول الله في ألف من أصحابه وفي أثناء الطريق رجع عنهم بثلاثمائة من المنافقين ورجعوا إلى المدينة فتبعهم عبدا لله بن عمرو بن حزام يقول لهم: يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر عدوهم ، فقالوا :لو نعلم إنكم تقاتلون ما سلمناكم ولكنا لا نرى ان يكون قتال فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف قال :أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم نبيه.(٩)وبهذه الطريقة أراد عبد لله بن أبي بن سلول والذين معه من المنافقين تخذ يل المسلمين،ومنعهم القتال مع أن حصول المعركة صار أمرا ضرورياً لا مفر منه سواء خذل هذا المنافق أم لا، فقد أراد

---

(١) لسان العرب ١١٢/٩ مادة(خذل).

(٢) ورد في مجمع الزوائد بلفظ (المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله التقوى هاهنا.ها هنا وأشار بيده إلى القلب)ينظر مجمع الزوائد للهيثمي ١٨٥/٨ دار الريان للتراث ،دار الكتاب العربي القهر بيروت ١٤٠٧ ه..

(٣) المعجم الوسيط٣٣٢/١ مادة(خذل).

(٤) سورة آل عمران(آية١٦٠).

(٥) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل١٠٢/١.

(٦) مغني المحتاج١٠٣/٣.

(٧) حواشي الشرواني٢.٧/٩.

(٨)المغني لابن قدامه ٣٧٢/١٠..

(٩) السيرة النبوية م٦٤/٢ تحقيق مصطفى السق.وآخرون مؤسسة علوم القران دمشق ـ بيروت..

بتخاذله هذا إضعاف الروح المعنوية لدى الباقين وتخليهم عن الرسول وعدم الخروج معه وما أكثر المخذلين، فهم يلعبون دورهم البائس في حدوث البلبلة والاضطراب جاهدين أنفسهم لتفتيت الصف المسلم فقاموا يشنون حرباً تخاذلية ليثيروا الإرباك في صفوف المسلمين لكن الله من ورائهم محيط وعلى إهلاك أعدائه قدير وعلى نصر عباده قوي عزيز فيمكننا القول بان المسلمين لا يبالون بهذا التخذيل وقد قال عنهم (لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم ، إلا ما أصابهم من لأنواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك)(١).

ثانياً التثبيط:

ثبطه عن الشيء تثبيطاً إذ اشغله عنه ، وفي التنزيل العزيز(وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ)(٢)قال أبو إسحاق التثبيط ردّ ك الإنسان عن الشيء يفعله أي كره الله أن يخرجوا معكم فردهم عن الخروج وثبطه عن الشيء ثبطاً وثبطه :ريثه وثبطه على الأمر فتثبط وقفه(٣).وثبطه تثبيط قعد به عن الأمر وشغله عنه ومنعه بإقامة العراقيل في سبيله (٤).

والتثبيط(هو رد الإنسان عن الفعل الذي هم به عن طريق تعويقه عنه ومنعه منه)(٥).

أما في كتب الفقه فقد جاء في الموسوعة الفقهية ما نصه (والتثبيط مصدر ثبطه عن الأمر تثبيطاً شغله عنه وعوقه ونحوه التخذيل)(٦).

فالتثبيط ضد التحريض والتحريض نوع من أنواع الجهاد ومن مقتضيات الجهاد منع التثبيط وردع المثبطين لأن التثبيط يدعو إلى القعود عن الجهاد وهذا ما يريده أعداء الدين اليوم وهو ما يفعله المثبطون .

وقد قص الله علينا في القران العزيز أقوال المثبطين ليحذر المسلمون هذه الأقوال ونحوها التي ينفثها المثبطون ويتلقاها المنافقون ويمشون بها بين المسلمين، ومن هذا يمكنني أن اذكر لك أخي القارئ أقوال المثبطين والرد عليهم ليتعلم المسلمون كيف يردون عليهم :-

١- قال تعالى (الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)(١) .

---

(١) الحديث رواه احمد في مسنده٣٦/٦٥٦-٦٥٧ رقم (٢٢٣٢٠)والهيثمي في مجمع الزوائد٨/٢٤٨ وقال رواه الطبراني في الكبير وقال وقال رجاله ثقاة..

(٢) سورة التوبةآية٤٦.

(٣) لسان العرب ٧/٢٦٧ كلمة (ثبط)والمصباح المنير كلمة(ثبط).

(٤) معجم الألفاظ والإعلام القرآنية ٩٤ كلمة(ثبط)..

(٥) التفسير الوسيط للقران الكريم لدكتور محمد سيد طنطاوي ٦/١٧٦ مطبعة الرسالة القاهرة ط٣/١٤٠٨-١٩٨٨م ..

(٦) الموسوعة الفقهية كلمة تحريض.

قالوا في تفسيرها :إن في أقوال المنافقين التي حكاها الله تعالى عنهم تثبيطاً لهمم المسلمين ، فقالوا في تثبيط المسلمين :لو ان الشهداء الذين قتلوا أطاعونا في عدم الخروج إلى القتال وقعد و كما قعدنا لنجوا من الموت كما نجونا ،قال تعالى معلماً رسوله أن يقول لأولئك المنافقين أن الحذر لا يمنع القدر وان المقتول يقتل بأجله ،فمن جاء اجله تهيأ له سبب موته كما قال تعالى (ا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ)(٢).وقال أيضا(أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ)(٣)،ومن لم يأت اجله لم يمت ولو توسط القتال ، ومن جاء اجله مات ولو على فراشه في بيته (٤).

٢ـقال تعالى(إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ)(٥).

جاء في تفسير هذه الآيات :أن تصبك حسنة سواء كانت نصراً على الكفار او غنيمة منهم تسؤ هم هذه الحسنة ،وان تصبك مصيبة من نكبة أو شدةٌ فرحوا وقالوا قد أخذنا امرنا من قبل ، أي قد أخذنا امرنا بالحزم والحيطة والحذر الذي هو دأبنا من قبل وقوع هذه المصيبة إذ تخلفنا عن القتال ولم نلق بأيدينا إلى التهلكة ، فرد الله تعالى عليهم بقوله قل يا محمد لن يصبنا إلا ما كتب الله لنا فكل شيء بقضاء الله وقدره ، فالله جل جلاله هو مولانا ويتولى أمورنا وعليه نتوكل واليه نفَوض أمورنا كلها ، ثم إنكم أيها المنافقون المثبطون هل تنتظرون منا ألا إحدى الحسنيين :إما النصر وأما الشهادة في سبيل الله ،ونحن ننتظر لكم أن يصبكم الله بعذاب من عنده كما عذب المكذبين الكافرين من قبلكم(٦).

٣ ـقال تعالى(فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ)(٧)

وجاء في تفسير هذه الآية ان أولئك المنافقون فرحوا بتخلفهم عن القتال لأمر رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وقالوا لإخوانهم في النفاق أو لإخوانهم في النسب والقرابة من المسلمين بأن كانوا من عشيرتهم :لا تنفروا في الحر أي

---

(١) سورة آل عمران آية١٦٨

(٢) سورة آل عمران آية١٥٤.

(٣) سورة النساء آية ٧٨.

(٤) تفسير القرطبي ٢٦٧/٤ وتفسير المنار ٣٤٠/٤ـ٢٣١

(٥) سورة التوبةالايتان٥٠ـ٥١ .

(٦) تفسير الرازي ٨٤/١٦ ـ٨٥ والقرطبي ١٥٩/٨ ـ١٦٠ وتفسير المنار ١٠ /٤٧٨.

(٧) سورة التوبة آية ٨١.

لا تخرجوا إلى القتال في الحر تثبيطاً للمؤمنين عن القتال ، فرد الله تعالى عليهم بأن قال لنبيه محمد قل يا محمد لهم :أن نار جهنم اشد حراً لو كانوا يفقهون لأمور والحقائق فأين حر الخروج إلى القتال من حر جهنم الذي ينتظر المنافقين المتخلفين عن القتال المثبطين لهمم المسلمين (١).

٤ـقال تعالى (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)(٢)

جاء في سبب نزول هذه الآية وتفسيرها :أن أبا سفيان بن حرب وعد النبي أن يخرج لقتاله في العام المقبل بعد أن انتهت معركة أحد ،فلما جاء الموعد خرج أبا سفيان مع قومه فنزل (بمر الظهران)وألقى الله تعالى الرعب في قلبه فبدا له أن يرجع ولا يقاتل محمداً ﷺ فلقي أبو سفيان نعيم بن مسعود الأشجع فقال :يا نعيم أني واعدت محمداً أن نلتقي بموسم بدر ، وقد بدا لي أن ارجع ولكن إن خرج محمد ولم أخرج زاد بذلك جرأة فاذهب إلى المدينة فثبطهم ولك عندي عشرة من الإبل ، فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم :ما هذا بالرأي أتوكم في دياركم وقتلوا اكثر كم فإن ذهبتم لم يرجع منكم أحدا ،فوقع لهذا الكلام في قلوب قوم من المسلمين،فلما عرف ذلك قال :والذي نفس محمد بيده لأخرجنَ إليهم ولو وحدي، ثم خرج النبي ﷺ ومعه سبعون رجلاً، وذهبوا إلى أن وصلوا بدر ـ وهو المكان الذي وعد أبو سفيان لقاء النبيﷺ ولم يجد الرسول ﷺ وأصحابه أحدا من المشركين .

فقوله تعالى (الذين قال لهم الناس) المراد (بالذين)هم الذين استجابوا لله والرسول،والقائل هو نعيم بن مسعود.

وقوله تعالى (إن الناس قد جمعوا لكم) المراد بالناس هو ابو سفيان وأصحابه ورؤساء عسكره .

(قد جمعوا لكم) أي جمعوا لكم الجموع (فاخشوهم) أي كونوا خائفين منهم لكن المسلمين لما سمعوا هذا الكلام لم يلتفتوا إليه ولم يقيموا له وزناً،فزادهم الله إيماناً وتصديقاً وإخلاصاً ولم تنفع تخويفات المنافقين ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل أي كافينا الله ونعم الكافي(٣).

٥ـ ومن تثبيط المثبطين ما ينفثونه ويقولون من ضرورة إمساك المال وعدم إنفاقه على المقاتلين في سبيل الله بحجة أن هناك من هم أغنياء ولا ينفقون شيئا وانه إذا انفق ماله ترك عائلته بلا رصيد وان عائلته قد تحتاج إلى رصيد في مستقبل الأيام(٤).

---

(١) تفسير الرازي ١٤٩/١٦ وتفسير القرطبي٢١٦/٨ وتفسير المنار ٥٦٩/١٠ ..

(٢) سورة آل عمران ١٧٣.

(٣) ينظر في ذلك تفسير الرازي ٩٩/٩ـ١٠١ والقرطبي ٨٠/٤.

(٤) ينظر المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم ٥١٥/٤ .

وللرد على مثل هذا التثبيط سهل وممكن فالقول بان أهل الأموال لا ينفقون في سبيل الله شيئاً فهذا ليس بعذر للآخرين من عدم الإنفاق على الجهاد لأن تقصير البعض في أداء ما يجب عليهم لا يصلح عذراً لتقصير الآخرين بل يجب على جميع الميسورين الإنفاق في سبيل الله وذلك لأن جميع بلاد المسلمين ساحة وميداناً للقتال ، فالواجب القتال بالنفس والمال واللسان .

أما القول بأن الإنفاق في سبيل الله يورث الفقر فهذا من نفث الشيطان قال تعالى (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)(١)فالذي أريد أن أقوله يجب على كل مسلم قادر على البذل والعطاء ان يقدم كل ما يمكن تقديمه من مال زائد عن حاجته وحاجة من يعول في سبيل الله لدفع خطر العدو ولا يغره قول الذين يختلقون الأكاذيب والأراجيف والإشاعات .

ثالثاً: التعويق: رجل عوق لا خير عنده والجمع أعواق، ورجل عُوق جبان ،وعاقه عن الشيء تعوقه عوقا: صرفه وحبسه ومنه التعويق والإعتاق وذلك إذا أراد أمرا فصرفه عنه صارف . والتعويق تريث الناس عن الخير .

والتَّعوّق :التثبط ، والتعويق التثبيط وفي التنزيل (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ)(٢) والمعوقين قوم من المنافقين كانوا يثبطون أصحاب النبي (٣)

وعاقه عن الشيء منعه وشغله وثبطه ، والمعوق الذي يصرف الناس ويمنعهم عن عمل الخير والجمع معوقون .(٤)

والتعويق هو الآخر له صلة بالإرجاف ، وقد تبين أن المعوق هو الذي يصرف الناس ويمنعهم عن عمل الخير ويثبطهم ، وقد قال الله تعالى (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ)وقد اخرج ابن جرير وابن أبي القاسم عن قتادة في الآية قال (هؤلاء أناس من المنافقين كانوا يقولون لإخوانهم ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ، ولو كانوا لحما لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه دعوا الرجل فانه هالك)(٥) وقد وصفهم الله في كتابه العزيز وصفاً أظهر خفايا نفوسهم من الشح وما تكنه قلوبهم من الفزع والخوف (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ

(١) سورة البقرة آية ٢٦٨.

(٢) الأحزاب آية١٨ .

(٣) لسان العرب كلمة عوق ٢٨٠/١٠

(٤) معجم الألفاظ والأعلام القرآنية كلمة عوق ٨٠ ..

(٥) ينظر الدر المنثور في تفسير المأثور٥٨٠/٦ دار الكر بيروت ط١٤٠٣/١١-١٩٨٣ م .

فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً)(١)

يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية: (ويبدأ هذا النص بتقرير علم الله المؤكد بالمعوقين الذين يسعون بالتخذيل في صفوف الجماعة المسلمة الذين يدعون إخوانهم إلى القعود (وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً) ولا يشهدون القتال إلا لماماً فهم مكشوفون لعلم الله ومكرهم (فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ)وهي صورة شاخصة واضحة الملامح متحركة الجوارح وهي في الوقت نفسه ضاحكة تثير السخرية من هذا الصنف الذي تنطق أوصاله وجوارحه بالخوف،(٢)

فالمعوقون هم فئة من أهل النفاق اشتركوا في الحرب اشتراكاً محدوداً حتى يراهم المؤمنون ثم ينصرفون وهم حريصون على طلب الخير لأنفسهم ،فيظهرون إذا زال الخطر فيسبون المسلمين ويذمونهم ويبسطون ألسنتهم بالسوء ،لكنهم عند توزيع الغنائم يظهرون ويتظاهرون بالإيمان رياءَ وخداعاً وطمعاً في الحصول على نصيب من الغنائم (٣).

رابعا. الإشاعة :-

الإشاعة في اللغة : الإظهار وهو مأخوذ من شاع الشيء اذا انتشر وشاع الخبر أي ذاع ، والإشاعة الأخبار المنتشرة ،ويقال رجل مشياع أي مذياع لا يكتم سراً وفي الحديث (أيما رجل أشاع على رجل عورة ليشنه بها اظهر الله عليه ما يعيبه)(٤)

أما اصطلاحا :فقد جاء في الموسوعة الفقهية في معرض التعريف عن الإشاعة لغة: أن تعريف الفقهاء للإشاعة لا يخرج عن التعريف اللغوي فقد جاء فيها ما نصه (الإشاعة مصدر أشاع ، وأشاع ذكر الشيء أطاره وأظهره ، وشاع الخبر في الناس شيوعا أي انتشر وذاع وظهر ولا يخرج استعمال الفقهاء على هذا المعنى اللغوي ،وقد تطلق الإشاعة على الأخبار التي لا يعلم من أذاعها ، وكثيرًا ما يعبر الفقهاء عن هذا المعنى بألفاظ أخرى غير الإشاعة كالاشتهار والإفشاء والاستفاضة)(٥).

وذكر الفقيه الدامغاني أن كلمة(شيع)جاءت في القران على خمسة اوجه (الفرق ، والجيش ، وأهل الملة، الإشاعة ، والأهواء المختلفة .فذكر الرابع : الشيع والإشاعة في قوله تعالى في سورة النور (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ

---

(١) سورة الأحزاب آية ١٦ .

(٢) تفسير سيد قطب ٢٨٨٠.

(٣) ينظر المدرسة الإسلامية العسكريةً ص١٨٤ محمد فرج دار الفكر العربي دار الثقافة للطباعة ١٩٦٩ .

(٤) لسان العرب ١٨٨/٨ كلمة(.شيع).

(٥) ينظر الموسوعة الفقهية كلمة (شيع).

الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا)(١)بمعنى أن تفشوا(٢). وعليه فأن الإشاعة تعتبر من اخطر الأسلحة الفتاكة والمدمرة للمجتمعات والأشخاص ،لان لها القدرة على تفتيت الصف الواحد والرأي الواحد وامتنا الإسلامية تواجه الإشاعة والتخطيط من إيجاد الثغرات وفتح الجبهات وتفريق الصف من قبل أعدائها وهذا المكر والكيد سنة ماضية وباقية من أول البعثة النبوية إلى ما شاء الله قال تعالى (وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا)(٣) لان هدفهم هو الردة عن الإسلام .

فالإشاعة قديمة قدم الإنسان وتاريخ الأنبياء عليهم السلام يشهد لذلك ،فهذا نوح عليه السلام اتهم من قومه بأنه (يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ)(٤) وغيرها من القصص التي يرويها لنا القران من سير الأنبياء والصالحين لكن لا يسمح المجال هنا لذكرها كاملة.

أما نبينا فقد واجه منذ بداية الدعوة حملات الإشاعة والتشكيك ومنها ما قالوا عنه في مكة من أكاذيب واتهام كتهمة الجنون والسحر والكذب وغيرها من الأقاويل الباطلة ، وكان المقصود من وراء هذه الدعاية هو إشاعة الأراجيف في القبائل العربية لتحذْره وتتجنبه لكنَ الله كان لهم بالمرصاد فكان ينزل على نبيه من سبع سماوات بآيات تكذبهم وتسفههم ويبرئ نبيه من أكاذيبهم(٥)،وكذلك الإشاعة التي شيعت بين صفوف المسلمين في غزوة غزوة أحد عندما احتدم الصراع بين المشركين والمسلمين من ان النبي ﷺ قد قتل وهذه الإشاعة أربكت المسلمين كثيراَ،لأنها صدرت من بين المسلمين أنفسهم ، وكان من غير المتوقع أن تصدر مثل هذه الإشاعة من بين المؤمنين الذين يتورعون عن الكذب وهم حريصون على رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد من حرصهم على أنفسهم وعند سماع هذه الإشاعة انسحب المنافقون قبل حدوث المعركة ،إذ أن هذه الإشاعة أحدثت الإرباك والاضطراب في صفوف المسلمين فتركتهم لا يعرفون ما يفعلون ،فقد قال محمد الغزالي وهو يصف اثر هذه الإشاعة فقال(وشاع أن محمد قتل فتفرق المسلمون ودخل بعضهم المدينة وانطلقت طائفة فوق الجبل واختلطت على الصحابة أحوالهم فما يدرون كيف يفعلون)(٦). والقصص في ذلك كثيرة ولا مجال لذكرها كاملة .أما اليوم فإننا نجد للإشاعة دوراَ كبيرا في

(١) سورة النور ١٩

(٢) ينظر قاموس القران أو إصلاح الوجوه والنظائر في القران الكريم للفقيه المفسر الحسن بن محمد الدامغاني حققه ورتبه وأكمله عبد العزيز سيد الأهل دار العلم للملايين بيروت ط١٩٧٧ ص٢٧١ .

(٣) سورة البقرة آية ٢١٧ .

(٤) سورة المؤمنون ٢٤.

(٥) الإشاعة وأثرها.السيئ على المجتمع الإسلامي عبد الله بن عبد الحميد الأثري ص٦ دار ابن خزيمة .

(٦) ينظر فقه السيرة ٢٧٥ .

إرباك الصف المسلم فقد انشأ ثغرات وتمزقاَ في الصف المسلم وخاصة عندما كانت تصدر بعض الشائعات من داخل الصف من أناس لهم هوى خفي أو ظن مخطئ، .

وقد قاوم الفقه الإسلامي الحرب النفسية المعتمدة على الإشاعات المخيفة مقاومة روحية حسية ،إذ المجتمع الذي بايع الله تعالى موعود بالنصر الأعلى ،إذ الخلافة للصالحين عاجلا أو آجلا ماداموا على هدي الجهاد المقدس ،وان الخوف والإرجاف مستبدل بالأمن وهذا عهد الله ولن يخلف الله وعده ولن ينقض عهده، ومن مات على نور الجهاد والاستقامة كتب الله له في العليين الآمن والسلامة ،وعليه فإن إذاعة الأخبار المفضية إلى إرجاف الأمة من صفات المنافقين قال تعالى (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)(١)-(٢)

الحكم الإجمالي للإرجاف

وهذا يتطلب بحثه في مواضع:-

أولا: إثارة الأراجيف ضد أعداء الإسلام .

ثانياَ: إثارة الأراجيف ضد المسلمين .

ثالثاَ: استصحاب المرجف للقتال .

رابعاَ: هل يسهم للمرجف من الغنائم إذا خرج للقتال .

أولا: إثارة الأراجيف ضد أعداء الإسلام:

يجوز للمسلم إثارة الأراجيف ضد أعداء الإسلام باعتبارها حرباَ نفسية تفضي إلى إرجاف العدو وخذلانه ، والى أضعاف قوته المعنوية ، فكل ما يفضي إلى إضعاف الأعداء وإرجاف أفئدتهم جاز للمسلمين أن يعتمدوه ، وهو من جملة ما ينبغي أن يعد لمواجهة العدو مصداقاَ لقوله تعالى (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)(٣) وهذا الإعداد جاء بصيغة الأمر والأمر يقتضي الوجوب كما يقول الأصوليون والإعداد قد يكون مادياَ وقد يكون معنوياَ والإرجاف من جملة الإعداد المعنوي إذ ينبغي رفع الروح المعنوية لدى المقاتلين وصد الحرب النفسية التي يشنها العدو ،فالإرجاف من جملة الإعداد المعنوي الذي أمر الله به، كما إن

(١) سورة النور آية ٥٣ .

(٢) ينظر أحكام الإشاعة والحرب النفسية في الشريعة الإسلامية للدكتور خالد رشيد الجميلي ص.١١٦ .

(٣) سورة الأنفال آية ٦٠ .

الآيات القرآنية التي أمرت بقتال العدو كثيرة وقد جاءت هذه الآيات مطلقة من دون تقيد كما في قوله تعالى(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ)(١)(قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) (٢) وغيرها من الآيات التي لم تحدد بأي نوع يكون القتال ومما لاشك فيه أن الإرجاف نوع من الحرب النفسية التي تسيطر على عقل وتفكير وأفئدة العدو مما يضعف روحهم المعنوية ،وقد أذن النبي صلى الله عليه وسلم لنعيم بن مسعود في ممارسة الحرب النفسية ضد الأعداء عندما جاءه مسلما ولا يعرف أحدا بإسلامه أن يخذل عنه ما استطاع في معركة الأحزاب وان يوقع بين المشركين واليهود ،فسعى نعيم لخلق الاضطراب والأراجيف وإثارة الفتن بينهما من خلال إيهام اليهود بأن المشركين قد ينسحبون إلى ديارهم دون قتال محمد مما يعني بقاءكم وحدكم في مجابهة محمد وانتم لا طاقة لكم بذلك فالأسلم لكم اخذ رهائن من أشراف المشركين حتى يمتنعوا عن مثل هذا العمل وأوهم المشركين بأن اليهود قد تصالحوا مع محمد وسيدفعون له عدداً من المشركين كدليل على صدقهم وحسن نيتهم فدب الشك والإرجاف بين الطرفين وانعدمت الثقة بينهما مما أدى ذلك إلى تفتيت وحدتهم وهزيمتهم فكان عملا كبيراً استطاع أن يفرق هذه الجموع ويزرع بينهم الأراجيف .ومن خلال هذا العرض يتبين لنا وجوب إثارة الأراجيف ضد أعداء الإسلام كل حسب قدرته وإمكانيته والعمل على منازلته ،إذا أراد إيذاء المسلمين وتشويه سمعتهم واحتلال أرضهم ، فإذا وصل الأمر الى ذلك كان فرضا على كل مسلم إخراج ذلك المحتل من ارض المسلمين .قال ابن قدامه (إذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم ..)(٣)

ثانيا. إثارة الأراجيف ضد المسلمين.

إثارة الأراجيف ضد المسلمين حرام وتركها واجب لما فيه من الإضرار بالمسلمين وفاعلها يستحق التعزير(٤).قال تعالى (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً)(٥) .

(١) سورة التوبةآية١٢٣ .

(٢) سورة التوبةآية٢٩ .

(٣) ينظر المغني ٣٦٦/١٠ .

(٤) ينظر حاشية البجيرمي على شرح المنهج٣٠٧/٣ والمغني ٣٧٢/١٠ والقرطبي ٢٤٦/١٤واحكام القران للجصاص٣٧٢/٣ والموسوعة الفقهية ٨٠/٢ .

(٥) سورة الأحزاب آية ٦٠-٦١ .

قال ابو بكر في هذه الآية: (دلالة على أن الإرجاف بالمؤمنين والإشاعة بما يغمهم ويؤذيهم يستحق به التعزير والنفي إذا أصر عليه ولم ينته عنه وكان قوم من المنافقين وآخرون ممن لا بصيرة له في الدين وهم الذين في قلوبهم مرض وهو ضعف اليقين يرجفون باجتماع الكفار والمشركين وتعاضدهم ومسيرهم إلى المؤمنين فيعظمون شأن الكفار بذلك عندهم ويخوفونهم ،فأنزل الله تعالى فيهم واخبر تعالى باستحقاقهم النفي والقتل إذا لم ينتهوا عن ذلك فأخبر تعالى أن ذلك سنة الله وهي الطريقة المأمور بلزومها واتباعها)(١) .

قال القرطبي (الإرجاف حرام ،لأن فيه أذية فدلت الآية على تحريم الإيذاء بالإرجاف وقوله تعالى(لنغرينك بهم)أي لنسلطنك عليهم فتستأصلهم بالقتل

وقوله تعالى (وقتلوا تقتيلا) فهذا معنى الأمر بقتلهم وأخذهم أي هذا حكمهم إذا كانوا مقيمين على النفاق والإرجاف)(٢) .

وقال الزمخشري في تفسير هذه الآية: (لئن لم ينته المنافقون عن عداوتكم وكيدكم والفسقة عن فجورهم ، والمرجفون عما يؤلفون من أخبار السوء لنأمرنك بأن تفعل بهم الأفاعيل التي تسؤ هم وتنئهم ثم بان تضطرهم إلى طلب الجلاء من المدينة)(٣)وقد بلغ رسول الله أن ناساً من المنافقون يثبطون الناس عنه في غزوة تبوك فبعث إليهم طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه وأمرهم أن يحرقوا عليهم البيت ففعل طلحة(٤).ومن خلال ما بينا يتضح أن إثارة الأراجيف ضد المسلمين حرام ،ويجب على المرجف ترك إرجافه والإ استحق النفي أو التعزير أو القتل حسب مدى الضرورة والخطر الناتج عنها،فالمرجف إذا كان قائما على إرجافه ويريد بذلك إيذاء المسلمين ،وقد نهي عن ذلك مرات عديدة ولم يرجع عن فعله وهو متعمدٌ بإرجافه فهذا حكمه كما يقول القرطبي (الأمر بقتلهم وأخذهم،أي هذا حكمهم إذا كانوا مقيمين على النفاق والإرجاف)٥. والله اعلم.

---

(١)(١) ينظر الجصاص ٣٧٢/٣ .

(٢) ينظر القرطبي ٢٤٦/١٤ .ا

(٣) ينظر تفسير الكشاف ٥٦١/٣ .

(٤) ينظر معين الحكام ص٢١٠ المطبعة الميمنية والحديث أخرجه ابن هشام في السيرة٥١٧/٢ .

٥ ينظر تفسير القرطبي ٢٤٦/١٤ .

ثالثاَ- استصحاب المرجف للقتال .

لا يجوز للأمير أن يستصحب المرجف للقتال .(١)

قال الشافعي رحمه الله (ومن ظهر منه تخذيل للمؤمنين وإرجاف بهم أو عون عليهم منعه الإمام الغزو معهم لإنه ضرر عليهم)(٢).

قال ألما وردي :وهذا صحيح ينبغي للإمام أن يتفقد الغزاة إذا خرجوا حتى يغزو من يرجى نفعه ،ويرد من يخاف ضرره(٣).واستدلوا بما يأتي :-

١- قال تعالى(وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ)(٤).وكان للما وردي في هذه الآية تأويلات واليك هذه التأويلات :

قال تعالى (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا)فيه تأويلان :

أحدهما: يعني فساداَ.

والثاني : اضطراباَ.

وقوله تعالى(ولأوضعوا خلالكم)فيه تأويلان:

أحدهما :لأوقعوا بينكم الاختلاف .

والثاني :لأسرعوا في تفريق جمعكم .

وقوله تعالى (يبغون كم الفتنة) فيه تأويلان :

أحدهما :الهزيمة .

والثاني: التكذيب بوعد الرسول .

وقوله تعالى (وفيكم سماعون لهم)فيه تأويلان :

أحدهما :وفيكم من يسمع كلامهم ويطيعهم.

والثاني:وفيكم عيون منكم ينقلون إليهم أخباركم .

---

(١) ينظر ألام للشافعي ٨٩/٤ والمهذب٢٣٠/٢ ومغني المحتاج١٠٣/٣ والمغني لابن قدامه ٣٧٢/١٠ والمحرر في الفقه١٧٧/٢ وحواشي الشرواني ١٤٢/٧ والموسوعة الفقهية ٨١/٢ .

(٢) ينظر ألام ٨٩/٤ والحاوي الكبير ١٢٩/١٤ .

(٣) الحاوي الكبير ١٢٩/١٤ .

(٤) التوبة آية ٤٧ .

فأذا ثبت فمن نوى الإضرار المرودين من الغزو مع المسلمين من ذكره الشافعي وهم ثلاثة أصناف :ـ

أحدهما : من ظهر منه تخذيل المؤمنين بما تضعف به قلوبهم من تكثير المشركين وقوتهم ، وتقليل المؤمنين وضعفهم ، والإخبار بما يخاف من شدة حر أو برد أو عطشَ أو جدب وبما جرى مجرى هذه الأمور التي تضعف بها القلوب وتفضي إلى الهزيمة ،وقد مر ذكر هذه النقطة مفصلا في التخذيل والتثبيط.

الصنف الثاني: من يرّجف بالمؤمنين فينجو بهزيمتهم أو بمدد يرد بعدوهم أو بكمين لهم وراءهم، أو انهم قد ظفروا بأسرى أو سبوا ذرا ري أو قطعوا ميرة وما جرى مجرى هذه الأراجيف التي تفضي إلى الفشل والوجل .

الصنف الثالث: من يكون عوناَ للمشركين باطلاعهم على أخبار المسلمين وإرشادهم الى أسباب الظفر وتحذيرهم من وقوع الضرر بهم إذا واقعوا وما جرى مجرى هذه المعونة القوية لهم وما اكثر هذا الصنف في بلدان المسلمين فهذا يعتبر صنف خاسر لقوله تعالى(لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ ...)(١).

ولأن في هؤلاء مضرة على المسلمين فيلزمه منعهم.(٢)

ولأن ضرره اكثر من ضرر المنهزم فيجب منعه من الخروج.(٣)

هذا إذا كان المرجف غير الأمير،أما إذا كان المرجف هو الأمير فقد قال عنه ابن قدامه ما نصه:(وإن كان الأمير أحد هؤلاء لم يستحب الخروج معهم ،لإنه إذا منع خروجه تبعاَ فمتبوعاَ أولى ولأنه لا تؤمن المضرة على من صحبه)ض(٤).

رابعاَ:هل يسهم للمرجف من الغنائم إذا خرج معهم للقتال.

لا يسهم للمرجف إذا خرج مع الجيش للقتال،ولا يرضخ(٥) له منها(٦).

قال ابن قدامه (وان خرج معه أحد هؤلاء لم يسهم له ولم يرضخ،وان اظهر عون المسلمين ،لأنه يحتمل أن يكون أظهره نفاقاَ وقد ظهر دليله فيكون مجرد ضرر فلا يستحق مما غنموا شيئا)(٧).

---

(١) ينظر سورة المجادلة آية/٢٢ وينظر في ذلك الحاوي الكبير للما وردي ١٢٩/١٤ .

(٢) ينظر المغني ٣٧٢/١٠ والأم٨٩/٤ .

(٣) ينظر حواشي الشرواني١٤٢/٧.

(٤) المغني٣٧٢/٣ .

(٥) الرضخ:شيء دون السهم يجتهد الإمام في قدره. ينظر مغني المحتاج١٠٥/٣ .

(٦)(٦) ينظر في ذلك ألام للشافعي ٨٩/٤ والحاوي الكبير للما وردي ١٢٩/١٤ والمهذب للشيرازي ٢٤٥/٢ والمغني لابن قدامه ٣٧٢/١٠ والمحرر في الفقه١٧٧/٢ وأحكام القرآن للجصاص ٣٧٠/٣

(٧) المغني٣٧٢/١٠ .

وقال الشافعي (ولأنه ممن منع الله عز وجل أن يغزو مع المسلمين لطلبته فتنتهم وتخذيله إياهم ،وان فيهم من يستمع له بالغفلة والقرابة والصداقة وان هذا قد يكون اضر عليهم من كثير من عدوهم)(١).

ولأن ضرره في الخروج اكثر من ضرر المنهزم فيجب منعه للخروج لذلك(٢).

وهذا ما أرت بيانه من موضوع الإرجاف في الشريعة الإسلامية،فأسأله تعالى أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير .

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١ الإشاعة وأثرها السيئ على المجتمع الإسلامي .عبد الله بن عبد الحميد الأثري ص٦ دار ابن خزيمة

٢ الأم للإمام أبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعي . كتاب الشعب .

٣ أحكام الإشاعة والحرب النفسية في الشريعة الإسلامية للدكتور خالد رشيد الجميلي . بحث منشور في مجلة جامعة صدام سابقا الجامعة الإسلامية حالياَ العدد١٢ ـ١٤٢٢ـ٢٠٠٢م .

٤ أحكام القرآن للإمام أبى بكر احمد بن علي الرازي المشهور بالجصاص المتوفىسنة٣٧٠ هـ مطبعة الأوقاف الإسلامية في دار الخلافة العلية بالاستانة١٣٣٥ هـ الناشر دار الكتاب العربي بيروت ـ لبنان .

٥ تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار ،تأليف محمد رشيد رضا ط٢ دار المعرفة لطباعة والنشر.

٦ التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ت(٦٠٦ ه)المطبعة البهية المصرية بالقاهرة ١٣٥٧ هـ .

٧ التفسير الوسيط للقرآن الكريم للدكتور محمد سيد طنطاوي مطبعة الرسالة القاهرة/٣ ـ١٤٠٨ ـ١٩٨٨ .

٨ الجامع لأحكام القرآن ،لأبي عبد لله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي ط ٢ دار الشعب القاهرة ١٣٧٢ المحقق احمد بن العليم البر دوني.

٩ حاشية البجيرمي على شرح المنهج ،محمد ازدمير ـ المكتبة الإسلامية ـ ديار بكر تركيا .

١٠ حاشية الجمل على شرح المنهج للعلامة الشيخ سليمان (ت١٢٠٤ هـ)مطبعة محمد بمصر.

١١ الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي ،وهو شرح مختصر الأمام المزني .تصنيف أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب ألما وردي البصري، منشورات محمد علي منصور .دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤ مجلد .

١٢ حواشي الشرواني للإمام عبد الحميد الشيرازي ،١٠ أجزاء ـدار الفكر بيروت

(١) الأم٤/٨٩ .

(٢) حواشي الشرواني٧/١٤٢ .

١٣ الدر المنثور في تفسير المأثور للإمام عبد الرحمن جلال السيوطي ت(٩١١هـ)دار الفكر بيروت ط١ ١٤٠٣هـ ـ١٩٨٣م.

١٤ السيرة النبوية أبو محمد عبد الملك بن هشام (ت٢١٨)ه تحقيق مصطفى السقا وآخرون . مؤسسة علوم القرآن . دمشق ـبيروت ـبلات.

١٥ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل للإمام ابن القيم الجوزية.دار الفكر بيروت تحقيق محمد بدر الدين الجلبي .

١٦ صحيح البخاري للأمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦) دار ابن كثير اليمامة ـ بيروت ط/٣ ، ١٤٠٧ه ، ١٩٨٧م تحقيق مصطفى الديب البغا.

١٧ صحيح مسلم للأمام مسلم بن الحجاج ابو الحسين القشيري النيسابوري .دار إحياء التراث العربي ـبيروت ـتحقيق محمد فؤائد عبد الباقي ٥اجزاء.

١٨ الفتاوى العاالمكيرية ،المعروفة بالفتاوى الهندية تأليف جماعة من علماء الهند الأعلام . الطبعة الأميرية ببولاق مصر سنة١٣١٠ ه.

١٩ فقه السيرة للأمام محمد الغزالي دار التراث العربي ط١ ١٩٨٧ م .

٢٠ في ظلال القرآن سيد قطب،دار الشروق بيروت ط٧ـ١٩٨٧ م.

٢١ قاموس القران وإصلاح الوجوه والنظائر للفقيه المفسر الحسين بن محمد الدامغاني تحقيق عبد العزيز .دار العلم للملايين بيروت ط/١٩٧٧ م.

٢٢ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،لأبي القاسم جار الله الزمخشري ت(٥٣٨هـ) دار الفكر بيروت ط١ ١٣٧٩ هـ١٩٧٧ م.

٢٣ لسان العرب لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم.دار صادر بيروت ط/١.

٢٤ مجمع الزوائد للهيثمي . دار الريان للتراث دار الكتاب العربي ، القاهرة بيروت ١٤٠٧ ه.

٢٥ المحرر في الفقه . تأليف الشيخ عبد السلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني ـ(ت٦٥٢ ه)٢جزء دار النشر مكتبة المعارف الرياض سنة النشر ١٤٠٤ ط الثانية .

٢٦ المدرسة العسكرية الإسلامية .محمد فرج ـدار الفكر العربي ـدار الثقافة ـبيروت ١٩٦٩ م .

٢٧ مسند الأمام احمد بن حنبل ابو عبد الله الشيباني (ت٢٤١ هـ)مؤسسة قرطبة مصر ٦ أجزاء .

٢٨ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير .احمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ـ(ت٧٧٠هـ)مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

٢٩ معجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية في مصر خرجه إبراهيم مصطفى واحمد حسن الزيات وآخرون اشرف على طبعه عبد السلام هارون .مطبعة مصر ١٣٨٠ هـ١٩٦٠ م.

٣٠ معين الحكام طبع المطبعة الميمنية.

٣١ مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج محمد الشربيني الخطيب ـ دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان.

٣٢ المغني تأليف الشيخ العلامة ابن قدامه المتوفى(٦٢٠ هـ)دار الفكر عمان .

٣٣ المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية للدكتور عبد الكريم زيدان مؤسسة الرسالة ط٣ ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠ م .

٣٤ مفهوم الحرب النفسية في الشريعة الإسلامية للدكتور هيثم عبد السلام.بحث منشور في مجلة الحكمة العدد ٢٩ ـ أيلول سبتمبر ٢٠٠٢ م.

٣٥ المهذب للأمام إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ابو إسحاق ج ٢دار الفكر بيروت.

٣٦ الموسوعة الفقهية إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت ط/١، ١٤٠٢هـ ـ١٩٨٢ مطبعة الموسوعة الفقهية.